من الأسرار البلاغية للحذف في القرآن الكريم

الدكتور/ محمد غياث الدين تعلقدار
الأستاذ المشارك – قسم اللغة العربية
جامعة شيتاغونغ –بنغلاديش

الملخص:
إنه من المقرر: أن القرآن الكريم هو معين البلاغة الذي لا ينضب، وينبوعها الذي لا يجف، عكف عليه جهابذة العربية من نحاة و بلاغيين أربعة عشر قرنا من الزمن ، فما زادهم النظر في آياته إلا تسليما بسمو بيانه وروعة أسلوبه ، وأنه ليس بقول بشر، وأنه يعلو ولا يعلى عليه.
من ادعى أنه حصل منتهى بلاغته كذب، ومن خال أنه غاص على أعمق معانيه جهل.
﴿كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير[1]﴾
ولما كان القرآن الكريم أوثق نص لغوي، فقد حرص علماء العربية أن يجعلوه للغتهم إماما يتخذون من آياته البينات شواهد وبراهين على صدق القواعد التي يبنونها والأصول التي يرفعونها لهذه اللغة الشريفة، ومن هنا فقد كثرت في كتب النحاة أولا وكتب البلاغيين ثانيا الشواهد القرآنية ، وما كانت نفوسهم لتطمئن بالشاهد اللغوي اطمئنانها بالآية من الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.
ولقد تهدى علماء العربية وهم يبحثون في قواعد اللغة وأصولها إلى ظاهرة الحذف في لغة العرب، والحذف من أبواب العربية الواسعات التي اجتمع النحويون والبلاغيون والمفسرون على العناية بها، وهو باب دقيق المسلك ، لطيف المأخذ، عجيب الأمر ، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة. [2]
ومن ثم أردنا أن نبحث في هذه المقالة عن الحذف في القرآن الكريم وأسراره البلاغية الرائعة. وذلك في النقاط الآتية:
أولا : تعريف الحذف لغة واصطلاحا.
ثانيا: شروط الحذف البلاغي.
ثالث: أنواع الحذف البلاغي.
رابعا: الأسرار البلاغية للحذف في القرآن الكريم.
خامسا: الخاتمة

وفيما يلي بيان لهذه النقاط:

أولا: تعريف الحذف:

تعريف الحذف لغة:

إن معنى الحذف في اللغة يدور حول ثلاثة معان: (القطف، والقطع، والإسقاط) أما المعنى الأول فقد ورد في معجم العين للخليل بن أحمد الفراهيدي، إذ قال:"إن الحذف هو:«قطف الشيء من الشيء.[3]

فالحذف هنا أطلق على عملية قطف الشيء، والقطف هو أخذ شيء من شيء[4]. والمعنى الثاني نجده في جمهرة اللغة لابن دريد، إذ يقول: "وحذفت رأسه بالسيف حذفا إذا ضربته به فقطعت منه قطعة .... وحذفت الفرس أحذفه حذفا إذا قطعت بعض عصيب ذنبه فالحذف أطلق على عملية قطع الشيء[5] .

أما المعنى الثالث فنجده في الصحاح للجوهري، إذ يقول: "حذف الشيء: إسقاطه، يقال حذفت من شعري، ومن ذنب الدابة؛ أي أخذته[6] ".

وبذلك نجد أن الحذف في اللغة يدور حول هذه المعاني الثلاثة (القطف، القطع، والإسقاط) التي هي المعنى اللغوي لكلمة الحذف.

الحذف إصطلاحا:

و من أهم ما قيل في تعريف الحذف قول الجرجاني في كتابه دلائل الإعجاز ما يلي : (هو بابٌ دقيقُ المسلك لطيفُ المأخذ عجيبُ الأمر شبيه بالسِّحر فإنَّك ترى به ترك الذكْر أفصحَ من الذكر والصمت عن الإفادة أزيدَ للإفادة وتجدك أنطقَ ما تكونُ إذا لم تنطقْ وأتمَّ ما تكون بياناً إذا لم تبن . وهذه جملةٌ قد تنكرها حتى تخبر وتدفعها حتى تنظر أنا أكتبُ لك بديئاً أمثلةً ممَّا عرض فيه الحذفُ ثم أنبِّهك على صحةِ ما أشرتُ إليه وأقيم الحُجَّةَ من ذلك عليه صباحَ الكتاب – البسيط – :

(اعْتَادَ قَلْبُكَ من لَيْلَى عَوَائِدَهُ ... وهَاجَ أَهْوَاءَكَ المَكْنُونَةَ الطَّلَلُ ... يَا قَلْبُ قَوْلٌ أَذَاعَ المُعْصِيَاتِ بِهِ ... وكلُّ جَهْلٍ جَارٍ وِلْوُهُ خَضِلُ)

قال : أراد ذاكَ يَا قَلْبُ قَوْلٌ أو يَا قَلْبُ . قال : ومثلُه قولُ الآخر – البسيط – :

(هل تَعْرِفُ اليوم رسمَ الدَّارِ والطَّلَلا ... كما عَرَفْتَ بِجِفْنِ الصَّيْقَلِ الخِلَلاَ)[7]

وقيل: هو إسقاط وطرح جزءٍ من الكلام أو الاستغناء عنه؛ لدليل دلَّ عليه، أو للعِلم به وكونه معروفاً[8].

وعرفه ابن حجة الحموي بقوله : "الحذف عبارة عن حذف بعض لفظه لدلالة الباقي عليه كقوله تعالى ﴿ واسأل القرية التي كنا فيها﴾ "[9].

ونأخذ من التعاريف قول قدامة بن جعفر في كتابه نقد النثر : "الحذف هو الإيجاز والإختصار والإكتفاء بيسير القول إذا كان المخاطب عالما بمراده فيه"[10].

ثانيا: شروط الحذف البلاغي:

ذكر ابن هشام الأنصاري في مغني اللبيب ثمانية شروط للحذف [11]هي :

01) وجود دليل على المحذوف
02) ألا يكون المحذوف كالجزء
03) ألا يؤدي الحذف إلى نقص الغرض كأن يقع الحذف والتوكيد معا
04) ألا يؤدي إلى اللبس
05) ألا يكون عوضا عن شيء محذوف
06) ألا يكون المحذوف عاملا ضعيفا
07) ألا يؤدي الحذف إلى اختصار المختصر
08) ألا يؤدي الحذف إلى إهمال العامل الضعيف وقطعه عنه

وقد درس الدكتور طاهر حمود هذه الشروط في كتبه دراسة نقدية خلص منها إلى أن أهم هذه الشروط في واقع اللغة هي وجود الدليل على المحذوف أي القرينة التي تعين على إدراك العنصر أو العناصر المحذوفة, ويليه في الأهمية ألا يفضي الحذف إلى اللبس في المعنى أما الشروط الأخرى ليست لها هذه الأهمية وبعضها لا يصلح أن يذكر شرطا لوقوع الحذف لأن واقع اللغة يخالفه بالإضافة إلا أن بعضها لا يسلم من الخلاف من قبل البلاغيين السابقين[12].

ثالثا: أنواع الحذف البلاغي:

وللحذف البلاغي أنواع عديدة:

أ . حذف الإقتطاع:

وهو حذف بعض حروف الكلمة. وهل ورد هذا النوع في القرآن الكريم أم لا؟ فيه خلاف بينهم. فأنكره البعض، مثل أبن الأثير. وأثبته البعض. ومن الأمثلة على ذلك:

. فواتح السور، على القول: بأن كل حرف منها من اسم من أسمائه تعالى.

. ويدخل في هذا حذف همزة (أنا) في قوله تعالى : **﴿لكنا هو الله ربي[13]﴾**. إذ الأصل : لكن أنا ، فحذفت همزة (أنا) تخفيفا وأدغمت النون في النون[14].

. ومنه قراءة بعضهم : **﴿ونادوا يا مال ليقض علينا ربك ﴾.[15]** ولما سمعها بعض السلف قال : ما أغنى أهل النار عن الترخيم.

وأجاب بعضهم: بأنهم لشدة ما هم فيه عجزوا عن إتمام الكلمة.

. وكذلك قوله تعالى : **﴿وامسحوا برؤوسكم [16]﴾** ، حيث قالوا: إن الباء هنا هوأول كلمة (بعض) ثم حذف الباقي .

ب . حذف الاكتفاء :

وهو أن يقتضي المقام ذكر شيئين بينهما تلازم وارتباط ، فيكتفي بذكرأحدهما عن الآخر.

ومن أمثلة هذا النوع:

. قوله تعالى : **﴿ بيدك الخير[17]﴾**. أي والشر. وانما خص الخير بالذكر لأنه مطلوب العباد ومرغوبهم . أو لأنه أكثر وجودا في العالم. أو لأن إضافة الشر إلى الله ليس من باب الآداب.

. ومنها قوله تعالى : **﴿الذين يؤمنون بالغيب[18]﴾**. أي والشهادة؛ لأن الإيمان بكل منهما واجب، وآثر الغيب ؛لأنه أمدح .ولأنه يستلزم الإيمان بالشهادة من غير عكس.

. ومنها قوله تعالى : **﴿ورب المشارق﴾** (الصافات 5) ، أي والمغارب.

. ومنها قوله تعالى :**﴿ هدى للمتقين﴾.[19]** أي وللكافرين[20].

ج . حذف المقابلي (الإحتباك) :

وهو أن يجتمع في الكلام متقابلان، فيحذف واحد منهما مقابلة لدلالة الآخرعليه.

ومثال ذلك:

. كقوله تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تُجْرِمُونَ﴾ ، الأصل : فإن افتريته فعلى إجرامي، وأنتم براء منه، وعليكم إجرامكم وأنا بريء مما تجرمون، فنسبة قوله تعالى: [إجرامي] وهو الأول إلى قوله: ﴿**وعليكم إجرامكم**﴾ – وهو الثالث – كنسبة قوله: ﴿**وأنتم براء منه**﴾– وهو الثاني – إلى قوله: **وعليكم إجرامكم**﴾ – وهو الثالث – كنسبة قوله:﴿ **وأنتم براء منه**﴾– وهو الثاني – إلى قوله تعالى: ﴿ **وأَنَا براء مما تُجْرِمُونَ**﴾،وهو الرابع، واكتفى من كل متناسبين بأحدهما[21].

د . حذف الاختزال:

عرفه صاحب البرهان بقوله : "هو الافتعال من خزله قطع وسطه ثم نقل في الإصطلاح إلى حذف كلمة أو أكثر وهي إما اسم أو فعل أو حرف"[22].

رابعا: الأسرار البلاغية للحذف في القرآن الكريم:

قد كثر وقوع الحذف في الأسلوب القرآني، مما يمثل روعة بلاغته ، وذلك لما يتضمنه من دقة الجودة وعمق الأسرا رالبلاغية. ومن أهم وجوه الأسرار البلاغية لظاهرة الحذف في القرآن ما يلي:

1. السعة في التقدير :

إن الحذف في أغلب الأحيان يقتضي تقدير الكلام المحذوف، وقد يصلح المعنى في الآية من القرآن مع خلاف وجوه التقدير، مما يوسع المجال أمام القارئ ليذهب في المعنى مذاهب متعددة ، كلها صالح مقبول، فلو صرح بالمحذوف ، لما وجد السعة في الكشف عن المعاني وتأويلها.

ومثال ذلك:

أ . البسملة ﴿**بسم الله الرحمن الرحيم**﴾ . وانها من القرآن الكريم باتفاق العلماء، وان كان الاختلاف واردا في كونها آية من سورة الفاتحة . غير أننا إذا افتتحنا بها الأعمال فلا بد لنا من تقدير فعل محذوف، يختلف باختلاف الأحوال والأفعال. فمثلا: إذا كانت البسملة للذبح

كان التقدير : بسم الله أذبح، وإذا كانت البسملة للقراءة والكتابة، كان التقدير: بسم الله أقرأ وأكتب. وإذا كانت البسملة للارتحال من مكان ، كان التقدير: بسم الله أرتحل، ووهكذا.

ولا شك أنه لولا الفعل هنا محذوفا، لما ساغ هذا الاتساع في تقدير الفعل على هذا النحو.

ومن ثم يقول ابن قيم الجوزية وهو يعدد فوائد حذف العامل في (بسم الله) :" ومنها : أن الفعل إذا حذف صح الابتداء بالتسمية في كل عمل وقول وحركة، وليس فعل أولى بها من فعل، فكان الحذف أعم من الذكر، فإن أي فعل ذكرته كان المحذوف أعم منه"[23].

ب . وقوله تعالى : ﴿ **ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى**[24]﴾ .

فقد حذف جواب الشرط ، مما مس معه الحاجة إلى تقديره، فقدره بعضهم بأن قالوا : ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى، لكان هذا القرآن[25] .

وذهب الآخرون إلى : أن تقدير الجواب هو : لما آمنوا [26].

وبهذا وجدت السعة في تقدير المحذوف نظرا لتعدد وجهات النظر فيما يتناسب مع سياق الآية.

ج . و قوله تعالى: ﴿ **وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين**﴾[27] .

فقد حذف هنا جواب شرط ليكون هناك اتساع في تقدير المحذوف، فقدره البعض: حصلوا على النعيم المقيم. وذكر البعض وجها آخر، كأن يقدر: وجدوا ما وعدهم الله حقا. كما يمكن تقديره بكل ما يصلح عليه المعنى، ويستقيم معه سياق الكلام.

د . وفي تقدير الجواب في قوله تعالى:﴿ **وإذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم لعلكم ترحمون**[28]﴾ ذهب العلماء مذاهب متعددة، مثل: أعرضوا ولم يتقوا، أو استكبروا، أو تمادوا في غيهم ، أو قالوا: لن نتقي.

ومشيرا إلى هذا السر اللبلاغي للحذف في القرآن فقد قال العلامة الرماني قديما : "وإنما صار الحذف في مثل هذا أبلغ من الذكر؛لأن النفس تذهب فيه كل مذهب ، ولو ذكر الجواب لقصر على الوجه الذي تضمنه البيان"[29].

2. ومن الأسرار البلاغية للحذف: المشاكلة بين اللفظ و المعنى :

إن الكلام يكون في أكمل صوره حين وجدت المشاكلة بين صورة الكلام اللفظي وصورته المعنوية؛ لأنه حينئذ يشف عن سرعميق في المعني. ويعد هذا من أروع أسرار الحدف في القرآن. وقد اكتشف علماء اللغة كثيرا من الحذف في القرآن الكريم يحمل في أسلوبه هذا السر البلاغي الرائع.

وقديما ذكر علماء اللغة : أن ثمة مناسبة بين شكل اللفظ المفرد ومعناه، وأن هيئة الكلمة قد تكون أمارة على المعنى[30].

ويقودنا هذا إلى الاعتقاد : بأن تلك المناسبة لايكون وجودها في الكلام المركب، بل إن الكلام إذا كان مركبا كان أحرى بالاشتمال على هذه المناسبة بين صور التركيب وحقيقة المعني ، فما الألفاظ إلا صور المعاني:

ولطف الأواني في الحقيقة تابع

للطف المعاني، والمعاني بها تسموا [31]

■ يقول عبد القاهر الجرجاني: " ودليل آخر، وهو أنه لو كان القصد بالنظم إلى اللفظ نفسه دون أن يكون الغرض ترتيب المعاني في النفس، ثم النطق على حذوها، لكان ينبغي ألا يختلف حال اثنين في العلم بحسن النظم أو غير الحسن فيه؛ لأنهما يحسان بتوالي الألفاظ في النطق إحساسا واحدا ، ولا يعرف أحدهما في ذلك شيئا يجهله الأخر"[32].

ومن أمثلة المشاكلة بين اللفظ والمعنى:

أ . قوله تعالى:﴿ **وإذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا** [33]﴾ ، والتقدير: فقلنا اضرب بعصاك الحجر ، فضرب فانفجرت ؛ لأن الآية تفيد أن إنفجار العيون حصل بعد الأمر بالضرب، فعلم أن المخاطب قد امتثل بالأمر، فضرب، ثم كان من بعد الضرب الانفجار.

فإن موسى . عليه السلام . وهو كليم الله . لم يكن يعقل منه إلا أن يضرب امتثالا لأمر الله عز وجل فور تلقي الأمر، ولهذا فلم يكن هناك حاجة في التصريح بالفعل الموثوق بحصوله ،. ولم يكن ليعبر عن هذه الأسرار إلا بحذف ما حذف وإثبات ما أثبت.

ونفس الشئ حدث أيضا في قوله تعالى :﴿ **وأوحينا إلى موسى إذا استسقاه قومه أن اضرب بعصاك الحجر فانبجست منه اثنتا عشرة عينا**[34]﴾ .

وفي هذا الحذف نقطة ظريفة أخرى. وهي: توافق سرعة الامتثال بفعل (الضرب) المحذوف، مع مقتضى حال المخاطب، حيث إن موسى . عليه السلام . وقومه كانوا في حالة جدب شديد بعد أن نفد ماؤهم، ولما استسقى لهم . عليه السلام . فأمر بفعل الضرب الذي سيكون سببا لوفرة الماء، كان حريا أن يسرع في الامتثال وأن يضرب بعصاه الحجر، طاعة لله ورغبة منه في توفير الماء لقومه.

ب . ومن أمثال المشاكلة بين اللفظ والمعنى: قوله عز وجل: ﴿ **وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا**[35] ﴾، **ففي الآية حذف، تقديره: أي** يقولان : ربنا أو قائلين : ربنا.

وفي حذف لفظ (يقولان أو قائلين) في الآية دلالة على شدة اقتران رفع القواعد بالدعاء، فلما كان المعنى :أن عملهما (رفع القواعد) لم ينفصل عن الدعاء (ربنا تقبل من) حذف ما يفصل بين عملهما ودعائهما في اللفظ ، إتماما للمشاكلة بين صورة اللفظ وحقيقة المعنى .

ج . ومن ذلك : أيضا قوله تعالى: ﴿ **والملائكة يدخلون عليهم من كل باب، سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار** [36]﴾، ***أي*** يقولون : سلام عليكم .

فلما تزامن دخول الملائكة على أهل الجنة بالتسليم عليهم، ومن كل باب في وقت لهذه الدرجة، حسن حذف ما يفصل بينهما في اللفظ وهو القول، وصارت حينئذ صورة اللفظ منبئة بالمعنى العميق الذي يوافق ما يقتضيه حال أهل الجنة.

د . و قوله تعالى: ﴿ **لايسأم الإنسان من دعاء الخير وإن مسه الشر فيؤوس قنوط**﴾[37] أي فهو يؤوس قنوط. لم يصرح بلفظ المبتدأ (هو) في جواب الشرط ليكون حذفه دليلا على قرب يأس الإنسان وقنوطه حين يمسه الشر، فليس ثمة حاجزبين من الصبر والاحتمال، فلما زال ما يحجز بين وقوع الشر على الإنسان وبين يأسه وقنوطه في حقيقة الأمر اقتضى ذلك أن يزول ما يحجز بين لفظ الشر ولفظ اليأس في صورة الكلام.

3. من الأسرار البلاغية للحذف في القرآن الكريم: الاعتماد على شهادة العقل:

قد يكون الغرض من الحذف الاعتماد على شهادة العقل، حيث يهتدي العقل إلى معرفة المحذوف مع عدم وجود القرائن اللفظية في الكلام؛ لكون شهادة العقل حينئذ أولى من شهادة

اللفظ. ولا شك أن في ذلك تكريما للعقل البشري وتنشيطه على التفكر والإدراك وتبصر دلالات الكلام.

ومن أمثلة هذا النوع من الحذف في القرآن الكريم:

أ . قوله تعالى:﴿ **فقلنا اذهبا إلى القوم الذين كذبوا بآياتنا فدمرناهم تدميرا**[38]﴾ .

والتقدير: "فأتياهم ، فأبلغاهم الرسالة فكذبوهما فدمرناهم تدميرا" .

والذي يهدي إليه هو العقل؛ إذ لايصح أن يحصل التدمير عقب الأمر بالذهاب إلى القوم المكذبين، بل لا بد أن يكون قد حصل بعد الذهاب ما يستدعي غضب الله على أولئك القوم.

وقال الزمخشري . رحمه الله . بعد أن أورد هذا التقدير: " أراد اختصار القصة ببعثة الرسل واستحقاق التدمير بتكذيبهم"[39].

ويمكن أن يكون من أغراض الحذف : الإشارة إلى تعجيل عقوبة المكذبين للأنبياء ؛ حتى يكون ذلك رادعا لكل من تسول له نفسه على تكذيب أوامر الله ومخالفة رسله، فالتكذيب في أثره التدمير دون إهمال.

ب . ومن هذا القبيل : الحذف في قوله تعالى:﴿ **فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه ففدية**[40]﴾ . فإن الكلام هنا لايستقيم معناه ولا يتسق لما قبله من قوله تعالى : ﴿ولا تحلقوا حتى يبلغ الهدي محله ﴾ إلا بالتقدير المحذوف على هذا النحو: :فمن كان منكم مريضا أو به أذى من رأسه فحلق من أجله وبسببه" ، وهو بيان أحكام الحلق في الحج. والعقل هو الذي يهدي إلى هذا التقدير.

ج . ومنه أيضا حذف جملة الشرط في قوله تعالى: ﴿**إن أرضي واسعة فإياي فاعبدون**[41]﴾ ، فلا يتوصل إلى معرفة المناسبة بين سعة الأرض والأمر بالعبادة إلا بتقدير جملة الشرط المحذوفة، والتقدير: فإن لم يأت إخلاص العبادة في هذه البلدة فإياي فاعبدوني في غيرها.

د . ومن ذلك : حذف جملة جواب الشرط في قوله عز وجل :﴿ **من كان يرجو لقاء الله فإن أجل الله لآت** [42]﴾ . والعقل يدل على أن يكون التقدير هنا: من كان يرجو لقاء الله (فليبادر بالعمل الصالح)؛ فإن أجل الله لآت.

وهذا التقدير تصدقه الآية الكريمة الأخرى:﴿ **فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا**[43]﴾.

هـ . ومن ذلك قوله تعالى في قصة سليمان . عليه السلام . وملكة سبأ :﴿ **اذهب بكتابي هذا فألقه إليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون . قالت يا أيها الملأ إني ألقي إلي كتاب كريم** [44]﴾، أي ففعل ذلك فأخذت الكتاب فقرأته فقالت: يا أيها الملأ....

ولاشك في أن مثل هذا الحذف يستثير النباهة والفهم، ويدعو إلى التبصر وحسن المتابعة، ويدفع السأم والملل، ويسهل الحفظ والاستظهار.

و . ويلحق بهذا الضرب من الحذف حذف جواب القسم في مواضع عديدة من القرآن الكريم، وذلك للوقوف بقدرة العقل على اكتشاف الجواب عند التبصر في المقام الذي يلقي فيه القسم والسياق العام الذي يحتويه، نحو قوله تعالى:﴿ **ق والقرآن المجيد**﴾[45] ،أي إنه لمعجز، مراعاة لما في ابتداء السورة بهذا الحذف من التحدي. ومثل ذلك يقال في قوله تعالى:﴿ **ص والقرآن ذي الذكر**﴾[46] . وإلى هذا ذهب الزمخشري في كشافه، ونحو منه قوله تعالى:﴿ **والنازعات غرقا**﴾[47]. جواب القسم محذوف، تقديره : لتبعثن، لدلالة ما يعده عليه من ذكر القيامة : يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة .

4. تفادي التكرار الزائد:

من المؤكد أنه يم يقع في القرآن الكريم من التكرار إلا م يفيد غرضا بلاغيا، كتعزيز معنى من المعاني وتوكيده وتقريره. أما التكرار الذي يعد لغوا وحشوا، ما لا فائدة منه ، فالقرآن أعظم من أن يحتويه. ولذا فقد حذف في القرآن ما لا فائدة في التصريح به، ويكون ذلك عند وجود القرينة المبينة عن المحذوف إبانة يزول معها الشك فيه.

ومن أمثلة هذا الحذف :

أ. حذف المبتدأ في جواب الاستفهام في نحو قوله تعالى:﴿ **وما أدراك ما الحطمة نار الله الموقدة** [48]﴾ ، أي هي نار الله. ولو صرح بالمبتدأ لكان في الكلام ما يزيد على الحاجة ، ومثل ذلك قوله تعالى:﴿ **قل هل أنبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا** [49]﴾ . ولوصرح بالمحذوف في هذه الآية لتكرار في الجواب ما ذكر في الاستفهام.

ب . حذف المبتدأ بعد فاء جواب الشرط ، نحو قوله عز وجل:﴿ **من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها**[50] ﴾، أي فعمله لنفسه وإساءته عليها. وقوله تعالى:﴿ **وإن تخالطوهم**

فإخوانكم[51] ﴾،أي فهم إخوانكم. وبعد القول في نحو قوله تعالى:﴿ **وقالوا أساطير الأولين[52]﴾**، أي هو أساطير الأولين، والضمير عائد على القرآن المذكور قبلا. وقوله تعالى: ﴿ **سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم﴾**[53] ، أي هم ثلاثة ، وهم خمسة . ومن هذا القبيل حذف الخبر في نحو قوله تعالى: **﴿أكلها دائم وظلها﴾**[54] ، أي وظلها دائم ، استغنى بذكر الخبر في الجملة المعطوف عليها عن ذكره في الجملة المعطوفة. ومثله قوله تعالى:﴿ **وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم، والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم[55] ﴾**، أي حل لكم، وقريب من ذلك قوله تعالى:﴿ **إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله والمسجد الحرام الذي جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد ، ومن يرد فيه بإلحاد بظلم ندقه من عذاب أليم﴾**[56]. حذف خبر (إن) لدلالة جواب الشرط عليه ، والتقدير: إن الذين كفروا.. سنذيقهم من عذاب أليم. ولو صرح به لكان في الكلام ما يشبه ا لتكرار.

د . **حذف جواب الشرط في مثل قوله تعالى:**﴿ **أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة﴾**[57] ، أي لأدرككم، استغنى بجواب الشرط الأول عن ذكر جواب الشرط الثاني. ونحو منه قوله تعالى: **﴿قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا[58]﴾**، أي لنفد أيضا بدلالة جواب الشرط الأول.

ولذا اشتبه الأمر بالتكرار عند البيان الإلهي إلى حذف ما يستغني عنه الكلام، ليكون في أعلى درجات الإيجاز، وتأمل قوله تعالى:﴿ **لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل، أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى[59] ﴾**، أي لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل ، ومن انفق من بعده وقاتل. حذف الجملة المعطوفة لدلالة ما بعدها عليها، ولو ذكرت لكان في الكلام ما يشبه التكرار.

5. من الأسرار البلاغية للحذف : التخفيف :

كحذف النداء في نحو قوله تعالى على لسان عزيز مصر: **﴿ يوسف أعرض عن هذا [60]﴾**

قال سيبويه: " العرب تقول لا أدر، فيحذفون الياء، والوجه لا أدري؛ لأنه رفع. وتقول: لم أبل، فيحذفون الألف ، والوجه: لم أبال، كل ذلك يفعلونه إستخفافا لكثرته في كلامهم "[61].

. يحكى عن الأخفش أن المؤرج السدوسي سأله عن حذف الياء في قوله تعالى ﴿ **والليل إذا يسر**﴾ [62]. فقال: لا أجيبك حتى تنام على بابي ليلة ، ففعل ، فقال : إن عادة العرب إذا عدلت بالشيء عن معناه نقصت حروفه ، والليل لما كان لا يسري وانما يسرى فيه نقص منه حرف .[63]

6. من الأسرار البلاغية للحذف في القرآن: الإيجاز والإختصاص في الكلام :

إن المتبع لمواضع الحذف في القرآن الكريم يدرك كثرة الحذف حيثما تستطيل الجملة، كما في قوله تعالى :﴿ **وإذا قيل لهم اتقوا مابين أيديكم وما خلفكم لعلكم ترحمون** ﴾ .[64] تقديره أعرضوا، بدليل قوله تعالى في الآية التالية :﴿ **وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين** ﴾. [65]ومثل ذلك جميع ما ورد من حذف جملة الشرط .

7. التفخيم والإعظام :

ويؤثر ذلك في المواضع التي يراد بها التعجب والتهويل فترك النفس تحول في الأشياء المكتفية بالحال عن ذكرها .

. كما في قوله تعالى : ﴿ **حتى إذ جاؤوها وفتحت أبوابها**﴾ [66]، فحذف الجواب ، إذ كان وصف ما يجدونه ويلقونه عند ذلك لا يتناهى، وتركت النفوس تقدر ما شاءته ولا تبلغ مع ذلك كله ما هناك .

. وكذا قوله :﴿ **ولو ترى إذ وقفوا على النار** [67]﴾، أي لرأيت أمرا فضيعا لا تكاد تحيط به العبارة [68].

8. صيانة المحذوف عن الذكر في مقام معين تشريفا له :

كما في قوله تعالى : ﴿ **قال فرعون وما رب العالمين قال رب السموات والأرض** [69] ﴾. فالآيات حذف منها المبتدأ في ثلاثة مواضع قبل ذكر الرب ، أي هو رب السموات والأرض، والله ربكم ورب آبائكم الأولين ، والله رب المشرق والمغرب؛ لأن موسى . عليه السلام . استعظم حال فرعون واقدامه على السؤال ، فأضمر اسم الله تعظيما وتفخيما، واقتصر على

ما يستدل به من أفعاله الخاصة به ليعرفه أنه ليس كمثله شيء، وأنه : ﴿ **هو السميع البصير**[71] ﴾[70].

9. صيانة اللسان عنه تحقيرا له :

كقوله تعالى :﴿ **صم بكم عمي** ﴾ أي هم ، وقوله تعالى : ﴿ **كتب الله لأغلبن أنا ورسلي** ﴾ [72]أي الكفار[73].

10. البيان بعد الإبهام :

كما في مفعول المشيئة والإرادة؛ فإنهم لا يكادون يذكرونه، كقوله تعالى :﴿ **فلو شاء لهداكم أجمعين** ﴾[74] يقول البحتري: فإنه إذا سمع السامع " فلو شاء " تعقلت نفسه بما شاء ، أبهم عليه لا يدري ما هو ، فلما ذكر الجواب استبان بعد ذلك.[75]

11. زيادة المتعة باستنباط المعنى المحذوف :

ليس المقصود بالمتعة العقلية فحسب، بل المقصود أشمل من ذلك وأعم؛ لأن هذا الإكتشاف وتلك التقديرات التي يقترحها التالي لا يمكن أن تأتي إلا بإمعان الفكر وغلغلة النظر والتدبر في كتاب الله تعالى وهذا مقصد شرعي مطلوب بقوله تعالى :﴿ **كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب** ﴾ [76].

وإذا أمعن في النظر في قوله تعالى : ﴿ **بيدك الخير** ﴾[77] تساءل في نفسه عن سر تخصيص ذكر الخير، مع أن قدرة الله تعالى مطلقة ، فقد يقوده هذا التفكير والتدبر إلى عدة أسرار، لعل أدناها تناولا : تعليم العباد الأدب مع الله عز وجل، وعدم نسبة الشر إليه، خاصة وأن الآية مصدرة بفعل الأمر التعليمي " قل " ، وذلك نظير قول الله تعالى :﴿ **وإنا لا ندري أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشدا** ﴾[78] .

الخاتمة:

وبعد فإننا نستطيع أن نصل من خلال هذه الجولة العلمية في حذف القرآن الكريم إلى النتائج الآتية:

1. إن وقوع الحذف في القرآن الكريم أمر واقع.

2. إن الحذف في القرآن الكريم يضم في طيه أسرارا وأغراضا عظيمة، تثبت عظمة القرآن وأنه من كلام رب العالمين.

3. إن بلاغية القرآن خضم واسع، كلما بدا للمبحر فيه أنه أشرف على الساحل امتدت أمام عينيه أرجاء من ورائها أرجاء، فالقرآن في الحقيقة هو البحر الذي لا ساحل له.

4. إن الأسرار البلاغية للحذف في القرآن الكريم يعد من أهم أوجه الإعجاز البياني للقرآن الكريم.

5. إن معجزة القرآن ستبقى ينبوعا خالدا يبهرالعقول البشرية في كل زمان ومكان إلى يوم القيامة.

6. إن الحذف في القرآن الكريم جعله للقراء ميسور الحفظ من حيث تقليل المباني.

7. كذلك الحذف يستنهض همم الباحثين على اكتشاف اللفتات العلمية الكامنة في أغواره مثل خوض الغواصين في قاع البحر.

والله ولي التوفيق.

المصادر والمراجع:

[1]- سورة هود، الآية: 1
[2]- الجرجاني، عبد القاهر: دلائل الإعجاز ، **دار الكتاب العربي، بيروت ، 1995م، ص: 121.**
[3]- الأندلسي، أبو حيان: البحر المحيط، مطبعة السعادة، مصر، ط1.، 1328هـ ، ج 1، ص: 643. وينظر أيضا: يُنظر: لسان العرب؛ ابن منظور: محمد بن مكرم، دار صادر للطباعة والنشر، ط 4، سنة 2005، مادة "حذف."
[4]- ابن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مقاييس اللغة، دار الفكر، ط1 ،1979م، ج1 ،ص: 826.
[5]- ابن دريد، جمهرة اللغة ، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، جمهرة اللغة، دار العلم للملايين،ط1 ،1987م، المجلد1 ،ص:128.
[6]- الجوهري، الصحاح، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الصحاح، دار العلم للملايين، ط4 ،1990 ،ج1 ،ص:38.
[7]- الجرجاني: لائل الإعجاز، ص104
[8]- شرْح ابن عقيل على ألفيَّة ابن مالك؛ تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، مكتبة دار التراث، القاهرة، ط20، رمضان 1400هـ - يوليو1980م، ج1، ص243.
[9] - تقي الدين أبي بكر علي بن عبد الله الحموي الأزراري: زانة الأدب وغاية الأرب، تحقيق عصام شعيتو، دار ومكتبة الهلال ، بيروت، الطبعة الأولى ، 198، ج2، ص275.
[10]أ أبو الفرج قدامة بن جعفر: نقد النثر، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1990، ص 69.
[11]أ- ابن هشام الأنصاري : مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق : محي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية صيدا بيروت ، 1995، ج2، ص 672-700.
[12]- طاهر سليمان حمودة : ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، الدار الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع الإسكندرية ، ص115 .
[13] - سورة الكهف، الآية: 38.
[14]- مصطفى عبد السلام أبو شادي :الحذف البلاغي في القرآن الكريم ، مكتبة القرآن للطبع والنشر والتوزيع ، القاهرة ، د ط، ص .33
[15] - سورة الزخرف، الآية: 77.
[16] - سورة المائدة، الآية: 06.
[17]- **سورة آل عمران، الآية: 26.**
[18]- سورة البقرة، الآية: 03.
[19]- سورة البقرة، الآية: 1.
[20]- عبد الرحمن بن الكمال جلال الدين السيوطي : الإتقان في علوم القرآن، ج2 ص 163
[21] - بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي :البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه ، الطبعة الأولى ، 1376 هـ - 1957 م ، ج 3 ص 129
[22] - المرجع نفسه،ج3، ص 134
[23]- الجوزية: ابن القيم : بدائع الفوائد ، مكتبة نزار مصطفى البارز، مكة المكرمة - 1996م ، ج : 1، ص: 29.
[24]- سورة الرعد، الآية: 31.
[25]- الخطابي: بيان إعجاز القرآن 51-52(ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن) ، والنكت في إعجاز القرآن للرماني صـ 72.
[26]- مغني اللبيب صـ 721.
[27]- سورة الزمر، الآية: 73.
[28]- سورة يس ، الآية: 45.
[29]- علي بن عيسى: النكت في إعجاز القرآن ، دار المعارف ، مصر: 1976صـ 77 (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن)
[30]- انظر كلام ابن الجني في الخصائص، عالم الكتب ، بيروت، (152/2) ، باب في إمساس الألفاظ أشباه المعاني).
[31]- من ديوان ابن الفارض، طبعة دار الأرقام، بيورت. ض: 149.
[32]- دلائل الإعجاز صـ 42.
[33]- سورة البقرة ، الآية: 60.
[34]-سورة الأعراف، الآية: 160.

[35]- سورة البقرة، الآية: 127.
[36]- سورة الرعد، الآية : 23-24.
[37]- سورة فصلت، الآية: 49.
[38]- سورة الفرقان، الآية: 36.
[39]- الزمخشري: الكشاف عن حقائق التنزيل، دار إحياء التراث العربي ، ص : 3/ 92
[40]- سورة البقرة، الآية: 196.
[41]- سورة العنكبوت، الآية: 56.
[42]- سورة العنكبوت، الآية: 5.
[43]- سورة الكهف ، الآية: 110.
[44]- سورة النمل، الآية : 28-29.
[45]- سورة ق ، الآية: 1
[46]- سورة ص ، الآية: 1
[47]- سورة النازعات ، الآية: 1
[48]- سورة الهمزة، الآية: 5، 6.
[49]- سورة الكهف ، الآية: 104.
[50]- سورة فصلت، الآية: 46. وسورة الجاثية، الآية: 15.
[51]- سورة البقرة، الآية: 220.
[52]- سورة الفرقان ، الآية: 5.
[53]- سورة الكهف ، الآية: 22.
[54]- سورة الرعد، الآية: 35.
[55]- سورة المائدة، الآية: 5.
[56]- سورة الحج، الآية: 25.
[57]- سورة النساء ، الآية: 78.
[58]- سورة ا لكهف، الآية: 109.
[59]- سورة الحديد، الآية: 10.
[60]- سورة يوسف، الآية: 29.
[61]- بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي : البرهان في علوم القرآن ، ج3، ص 106.
[62]- سورة الفجر، الآية: 40.
[63]- المرجع نفسه ، ص 107
[64]- سورة يس، الآية: 45.
[65]- سورة يس، الآية: 46.
[66]- سورة الزمر، الآية: 71.
[67] - سورة الأنعام، الآية: 27.
[68]- الإتقان في علوم القرآن ،ج2 ، ص57
[69]- سورةالشعراء ، الآية: 23-24 .
[70]- سورة الشورى الآية: 11.
[71] - البرهان في علوم القرآن، ج3، ص107
[72] - سورة المجادلة، الآية: 21.
[73]- االبرهان، لمرجع نفسه ، ج3، ص164.
[74]- سورةالأنعام ، الآية: 149.
[75]- الإتقان في علوم القرآن ، ج2، ص57-58
[76]- سورة ص، الآية: 29.
[77]- سورة آل عمران، الآية: 26.
[78]- سورة الجن، الآية: 10.